Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (5), Issue (8): 30 Jun 2021
P: 35 - 49

ISSN: 2522- 3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (5)، العدد (8): 30 يونيو 2021م
ص: 35 - 49

Zawi- iBn- Ziri and his efforts to establish the Presence of The Ziri in Granada during the reign of the kings of denominations

Belarbi Khaled

Faculty of Humanities and Social Sciences || University of Sidi Belabbas || Algeria

Abstract: This study aimed at exposing the role of Zawi bin Ziri and his efforts in establishing the Ziri presence in the city of Granada during the era of the kings of denominations after his arrival from Africa to the Iberian Peninsula.This was during the last days of the Umayyad Caliphate in Cordoba and it was ruled by the BanuZizi until the fall of their king at the hands of the Almoravids in 483 AH/ 1090 CE.We will also address the reasons behind their entry to Andalusia and their stability in it as they thrived at the late era of Al- Mansour. Then in the days of his sons Abd al- Malik Al- Mudhafar and Abd al- Rahman Shingoul, and their outweighed in the army and support of his state, in addition to that we will address their stance on the tribal strife and What resulted from it as the entry of Suleiman Al Mosta'in to Cordoba. This is thanks to the efforts of Zawi bin Ziri and those with them from the Berbers after their defeat of the Qurdobians in a fierce battle in Shawwal 403 AH/ 1013AD, then finally the exposure to the most important events that the Kingdom of Granada knew during the reign of Zawi bin Ziri (403 AH- 410 AH/ 1012 AD- 1019 AD). This was done by relying on the historical method that depend on analysis, deduction, criticism and comparison. The researcher concluded the followings:

- Bani- Ziri during the fourth and fifth centuries AH, the tenth and eleventh centuries AD, had a major role and influence in the political life of Andalusia, and they were not isolated from the political events that took place in it in Morocco and Andalusia.

-The reasons and circumstances that pushed Zawi bin Ziri and his people to emigrate to Andalusia and leave their homeland cannot be limited only to the tyranny of Badis bin Mansour al- Ziri to rule in Africa, or to the threat of Zenata, but rather is the desire of Zawi bin Ziri to establish his own political entity after That he was unable to do so in his native Africa.

- Zawy bin Ziri was distinguished by his wit and his political and military genius, as he left Ilbira island that was granted to him by Suleiman Al- Musta'in after he reached the caliphate in 403 AH/ 1013AD, in exchange for his help, and he moved to Granada, which is distinguished by its impregnable location that protects him from enemies, which is the region in which he established his kingdom in 403 AH/ 1013 AD and thus this kingdom was one of the first denominations kingdoms that appeared before the abolition of the Umayyad Caliphate in 422 AH/ 1031 CE.

Keywords: Granada- Zawi bin Ziri- Kings of denominations- Qurdobian strife- Andalusia.

زاوي بن زيري وجهوده في ترسيخ الوجود الزيري في غرناطة في عهد ملوك الطوائف 399- 410هـ/1008- 1019م

بلعربي خالد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية || جامعة سيدي بلعباس || الجزائر

المستخلص: هدفت هذه الدراسة إلى التعرض لدور زاوي بن زيري وجهوده في ترسيخ الوجود الزيري في مدينة غرناطة في عهد ملوك الطوائف بعد قدومه من افريقية إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، وكان ذلك في آخر أيام الخلافة الأموية في قرطبة، وقد حكمها بنو زيزي حتى سقوط ملكهم على يد المرابطين عام 483 هـ/1090م، كما سنعالج الأسباب التي كانت وراء دخولهم إلى الأندلس واستقرارهم بها، حيث قويت شوكتهم في أواخر عهد المنصور ثم في أيام ولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول ورجحت كفتهم في الجيش وكانوا عضدا لدولته، بالإضافة إلى ذلك سنتطرق إلى موقفهم من الفتنة القرطبية وما نتج عنها من دخول سليمان المستعين لقرطبة، وذلك بفضل جهود زاوي بن زيري ومن كان معهم من البربر بعد هزيمتهم للقرطبيين في معركة شرسة في شوال 403هـ/ 1012م، ثم أخيرا التعرض لأهم الأحداث التي عرفتها مملكة غرناطة في عهد زاوي بن زيري (403هـ- 410هـ/ 1012م – 1019م). وتم ذلك من خلال الاعتماد على المنهج التاريخي الذي يعتمد على التحليل والاستنباط والنقد والمقارنة، وتوصل الباحث إلى:

- أنّ بني زيري خلال فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين كان لهم دور وتأثير كبيرين في الحياة السياسية بالأندلس ولم يكونوا بمعزل عما جرى بها من أحداث سياسية في المغرب والأندلس.

- أن الأسباب والظروف التي دفعت زاوي بن زيري وقومه بالهجرة للأندلس وترك موطنهم لا يمكن حصرها فقط في استبداد باديس بن منصور الزيري بالحكم في افريقية، أو إلى خطر زناتة، بل يتمثل في رغبة زاوي بن زيري في تأسيس كيان سياسي خاص به بعد أن عجز عن ذلك في موطنه إفريقية.

- تميّز زاوي بن زيري بدهائه وعبقريته السياسية والعسكرية، فقد ترك إلبيرة التي منحها إياه سليمان المستعين بعدما وصل للخلافة سنة 403هـ/ 1013م، لقاء مساعدته له، والرحيل لغرناطة المتميزة بموقعها المنيع الذي يحميه من الأعداء، وهي المنطقة التي أسس فيها مملكته سنة 403هـ/ 1013م، وبهذا تكون هذه المملكة من أوائل ممالك الطوائف التي ظهرت قبل إلغاء الخلافة الأموية سنة 422هـ/ 1031م.

الكلمات المفتاحية: غرناطة- زاوي بن زيري- ملوك الطوائف- الفتنة القرطبية- الأندلس.

المقدمة.

استطاع بنو زيري أن يقوموا بدورهم في الحياة السياسية في فترة العصر الوسيط، ولم يقتصر هذا الدور على بلاد المغرب الإسلامي عندما تبنوا الدعوة الفاطمية ثم أعلنوا استقلالهم عنها بتأسيس دول خاصة بهم كان لها دور في تاريخ المنطقة متمثلة في الدولة الزيرية (361هـ- 555هـ/972م- 1160م)، والدولة الحمادية (405هـ- 547هـ/1015م- 1152م)، بل كان لهم دور سياسي في رسم الخريطة السياسية الجديدة التي ستعرفها بلاد الأندلس مع بداية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي بعد ظهور ملوك الطوائف.

فمع أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي الفترة التي دخل فيها بنو زيري للأندلس مع زعيمهم زاوي بن زيري، لم تكن أوضاع الأندلس على أحسن ما يرام، إذ بعد مدة قصيرة من دخولهم إليها وقعت الفتنة القرطبية (399هـ- 422هـ/1009م- 1031م)التي أدت في آخر المطاف إلى نهاية الخلافة الأموية، واقتسام الأندلس بين فئات متناحرة فيما بينها، ولعل أبرزها موالي بني أمية وبقايا العامريين، والعرب المتبربرين من بني حمود، والعناصر البربرية التي انضافت إلى النسيج الاجتماعي الأندلسي أيام الدولة العامرية، وقد أقحموا بالجيش وخاضوا الحروب ومن هؤلاء البربر بنو زيري الذين انحازوا للجنوب الأندلسي واستقروا بغرناطة وفيها أسسوا مملكتهم.

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع الذي يؤرخ للتاريخ السياسي للأندلس، وما كتب عنه، مازال يحتاج للكثير من البحث والدراسة وفك مضمراته وتوضيح ما يلفه من غموض، حيث أغفلت الكثير من الجوانب السياسية كان لابد من التطرق إليها.

مشكلة الدراسة:

يمكن صياغة مشكلة هذه الدراسة في السؤال التالي:

- هل يمكن اعتبار الجهود التي بذلها زاوي بن زيري كان لها دور في ترسيخ الوجود الزيري في مملكة غرناطة؟

فرضيات الدراسة: تفترض الدراسة أن:

1- لم يكن لبني زيري أي تأثير في الحياة السياسية بالأندلس خلال فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين.
2- كللت جهود زاوي بن زيري في النهاية بدخول الأندلس واتخاذه غرناطة مقرا لملكه.

أهداف الدراسة:

إنّ إغفال مثل هاته المواضيع بالنسبة لتاريخ الغرب الإسلامي الوسيط يجعل فهمنا لماضينا ناقصا ومبتورا، كما يساعد هذا النوع من الدراسات على تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة وسد بعض الثغرات، ولهذه الدراسة العديد من الأهداف هي:

1. أن يتعرف الدارس على الجهود التي بذلها زاوي بن زيري في ترسيخ الوجود الزيري في الأندلس.
2. أن يستعرض الدارس موقف بنو زيري من الفتنة القرطبية التي اندلعت سنة399هـ/ 1008م.
3. أن يتعرف الدارس عن الأوضاع التي عاشتها الأندلس في ظل حكم زاوي بن زيري.

أهمية الدراسة:

- توضح أن الجهود التي بذلها زاوي بن زيري في ترسيخ الوجود الزيري في الأندلس من الأمور الهامة في التاريخ السياسي للغرب الإسلامي.
- تبين الدراسة الدور الذي قام به زاوي بن زيري في هزيمته القرطبيين في معركة شرسة في شوال 403هـ/ 1013م.
- قد تفيد هذه الدراسة في إماطة اللثام عن الكثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بالوجود الزيري في الأندلس خلال هذه الفترة.
- قد تفتح هذه الدراسة آفاقا جديدة للباحثين والمؤرخين على حد سواء.

منهجية الدراسة:

أ- منهجية التحليل: اعتمد الدارس على المنهج التاريخي الذي يعتمد على التحليل والاستنباط والنقد والمقارنة واستقراء النصوص، مستخدما في ذلك ما يمكن استخدامه من مقومات البحث العلمي في صياغة البحث.

ب- مصادر البيانات: اعتمد الباحث على المصادر المكتوبة والمراجع المعربة العليقة بموضوع البحث والتي سيتم ذكرها في مراجع البحث.

ج- حدود الدراسة: زاوي بن زيري وجهوده في ترسيخ الوجود الزيري في غرناطة في عهد ملوك الطوائف 399-410هـ/1009- 1019م.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول منها، الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة، بينما يتطرق المبحث الثاني إلى جهود زاوي بن زيري جهوده في ترسيخ الوجود الزيري في غرناطة في عهد ملوك الطوائف.

2- الإطار النظري والدراسات السابقة.

أولاً- الإطار النظري:

تتناول هذه الدراسة بإسهاب الجهود التي بذلها زاوي بن زيري في ترسيخ الوجود الزيري في الأندلس في فترة صعبة من تاريخ الأندلس ألا وهو عصر ملوك الطوائف الذي انقسمت فيه هذه الأخيرة إلى دويلات متناحرة فيما بينها، لقد استطاع زاوي بن زيري أن يقضي على الفتنة القرطبية التي اندلعت في عهده ويؤسس مدينة غرناطة التي اتخدها دارا لملكه.

ثانياً- الدراسات السابقة:

لقد تناولت العديد من المراجع لجهود زاوي بن زيري في ترسيخ الوجود الزيري في الأندلس، غير أنها تناولت الموضوع بشكل عرضي ولم تخصص له دراسة مستقلة تفي بالغرض المطلوب حيث لم تتطرق إلى الكثير من القضايا تم معالجتها في هذا البحث، ومن الدراسات التي تعرضت للموضوع نذكر:

- **دراسة إسماعيل العربي سنة (1982)** والمعنونة ب"دولة بني زيري ملوك غرناطة" والملاحظ أنّه سلط فيها الضوء فقط على دورهم السياسي بالأندلس مغفلا دورهم في المجالات الأخرى.
- **دراسة مريم قاسم الطويل (1994)** والمعنونة ب""مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر403هـ- 483هـ/1012م-1090م" وهي عبارة عن دراسة محلية لغرناطة شملت الجانب السياسي والاجتماعي والعلمي والعمراني في عهد بني زيري.

المبحث الثاني: جهود زاوي بن زيري في ترسيخ الوجود الزيري في الأندلس في عصر ملوك الطوائف:

1- أصل الزيريين:

ينتسب بنو زيري إلى قبيلة صنهاجة، والصنهاجيون نسبة إلى ولد "صنهاج "وأصل الكلمة صِنّاكْ بالصاد المشّمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم، إلاّ أنّ العرب عرّبته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار "صنهاج " (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 201)، وقد اختلف النسّابة والمؤرخون والباحثون في ضبط النطق الصحيح لهذه القبيلة، فابن دريد يذكر أنّها تنطق بالضم صُنهاجة (دريد أبو بكر محمد، 1987، ص 249).، أما ابن خلكان يرجح نطقها بالكسر صِنهاجة (ابن خلكان، 1989، ص266) في حين يؤكد السمعاني أنها تنطق بالضم كما بالكسر (السمعاني مج8، 1977، ص336)، ويؤكد القلقشندي أنّ النطق الصحيح لهذه القبيلة هو صَنهاجة أي بفتح الصاد (القلقشندي، 1982، ص170)

وإلى جانب الاختلاف حول النطق الصحيح لهذه القبيلة، فقد نشأ خلاف كبير بين النّسابة والمؤرخين العرب والبربر حول أصل هذه القبيلة أهي من البربر أم من أصل عربي، ونتيجة لتضارب الآراء والافتراضات حول أصل صنهاجة برز تياران متناقضان يدافعان على نظريتين مختلفتين، وكل تيار يدّعم رأيه بأدلة وبراهين إلاّ أنّها قابلة للجدل والاعتراض.

- التيار الأول: يمثله علماء الأنساب والمؤرخين العرب يؤكدون أن صنهاجة تنحدر من عرب حمير اليمنية، وأول من ذكر ذلك هو ابن الكلبي (ت 204هـ) (ابن الكلبي هشام، 1998/1408، ج2، ص ص 548 – 549).، ويذكر ذلك أيضا الطبري في تاريخه ويضيف بأنّ صنهاجة نسبة إلى صنهاج بن برمن بنو فريقش بن قيس بن سبأ (الطبري، 1967م، ج2، ص 207).

- التيار الثاني ويتزعمه ابن حزم الذي يرجح بأنّ صنهاجة قبيلة بربرية من بربر البرانس وينفي نسبها العربي اليمني لعدة أسباب منها:

- أنّ النسابة لا يعلمون بوجود ابن لقيس عيلان اسمه بر أصلا وأن ا"فريقش" لم يغزو إفريقية إلاّ في أساطير مؤرخي اليمن (ابن حزم أبو محمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ط5، 1982، ص 495).
- أنّ صنهاجة وجدت نفسها ملزمة بدافع المصلحة إلى ادعاء النسب العربي حتى تجدلها مكانا مرموقا في الحياة السياسية بالمغرب الإسلامي، لا سيما أن ظهورها على مسرح الأحداث لم يتم إلاّ مع مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (سعد زغلول عبد الحميد، دت، ص ص 292 – 293).
- أنّ مواطن صنهاجة قريبة من البربر وأنها تشترك معهم في لهجات أعجمية بعيدة عن اللسان العربي (.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 128)
- وأيضا أن أعيان صنهاجة وأمرائها وعلمائها كثيرا ما كانوا يصّرون على أنّهم من النسب العربي ولا يرضون عنه بديلا، إذ يذكر النويري بأنّ عز الدين أبو محمد بن عبد العزيز بن شدّاد حفيد الأمير تميم في تاريخه المسمى بـ " الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان"، يؤكد أن نسبه ونسب أجداده يتصل بحمير بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر من عرب الجنوب (النويري شهاب الدين، د ت.ج24، ص ص 85- 86).

2- أسباب دخول بنو زيري للأندلس:

يرتبط عبور بنو زيري للأندلس بالأحداث التي جرت داخل الأسرة الحاكمة، حيث عندما تولى باديس بن منصور شؤون إمارة إفريقية منذ سنة385هـ، استبد بقومه بنو مناد (هم الذين أسسوا الدولة الزيرية في افريقية خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي بقيادة زيري بن مناد، ابن خلدون، 2000 ج4، ص 312)، ووقعت بينه وبين أعمامه وأعمام أبيه فتن ومعارك قتل في أثنائها عم أبيه ماكسن بن زيري وابنه سنة 391هـ (ابن خلدون، 2000 ج6، ص 238)، وبسبب بطش باديس لهم وعداوة قبيلة زناتة لهم أيضا، انتقل زاوي بن زيري ومعه ابنا أخيهم ماكسن "حباسة وحبوس" للأندلس أيام الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (ابن الخطيب، الإحاطة، ق 2، ص ص 228 – 229)، وذكر ابن خلدون أنّ زاوي بن زيري قبل أن يعبر للأندلس كتب للحاجب المنصور يطلب منه أن يأذن له بالدخول للأندلس فأذن له بذلك، ودخل زاوي إليها وبرفقته بنيه وابني أخيه وحاشيته، كما ذكر ابن خلدون أيضا أن الحاجب المنصور عند وصولهم إليها أحسن نزلهم وأكرمهم، وكانوا خير سند له في جيشه، وأنّ دخولهم للأندلس كان في 391هـ/ 1000م (ابن خلدون، 2000، ج6، ص 238)، ويذكر الأمير عبد الله بن بلكين هو الأخر بأن دخول زاوي بن زيري للأندلس كان في عهد الحاجب المنصور، وأنّ زاوي عندما دخل إليها كان برفقة ابني أخيه ماكسن "حباسة وحبوس" وعدد من رؤساء البربر وحماتهم، وأنّ المنصور اعتمد عليهم في جيشه لفروسيتهم، كما اعتمد عليهم في المشورة والرأي دون غيرهم من الأجناد، إلاّ أن الأمير ابن بلكين لم يذكر السنة التي دخل فيها زاوي بن زيري إليها (ابن بلكين عبد الله الزيري، التيبان عن الحادثة، ط1، 1422هـ/ 2006م، ص ص 31- 32)، وكان ابن الأثير أيضا من المؤرخين الذين ذكروا بأنّ دخول زاوي بن زيري للعدوة الأندلسية كان في عهد الحاجب المنصور، وبأنّ زاوي بن زيري قد دخل إليها رفقة إخوته فسّر بهم المنصور وقلدهم الوظائف وأكرمهم وأحسن إليهم وجعلهم بطانته، وبأنّ ذلك كان في سنة 373هـ/983هـ (ابن الأثير، 1982، ج9، ص ص 32 – 33)، غير أنّ ابن بسام قد أشار أن دخول بنو زيري إليها لم يكن في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر وإنما في عهد ابنه الحاجب عبد الملك المظفر، وأخبرنا بأنّ المنصور لم يأذن لزاوي بالدخول للأندلس حذرا من دهيه ومكره وبعد صيته في المغرب وأنّ المظفر هو الذي دعاه إلى الدخول والخدمة له فأدخله بمن معه من إخوته (ابن بسام، 1997مج1، ق4، ص ص 81- 82.)، ولم يذكر أيضا ابن

عذارى سنة دخولهم، واكتفى بالقول بأنّ زاوي كتب للمظفر ليدخل إلى الأندلس رغبة في الجهاد فإذن له ودخل مع جماعة من أقربائه وفي مقدمتهم ابني أخيه ماكسن المقتول "حباسة وحبوس"، فأكرمهم المظفر وعملوا في عسكره (ابن عذارى، 1929، ج3، ص263)، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ ابن الخطيب قد ذكر روايتين متناقضتين عن دخولهم لهذه المنطقة، وأشرت من قبل إلى الرواية التي ذكرها في كتابه أعمال الأعلام التي أورد فيها أنّ دخول بنو زيري للأندلس كان في عهد الحاجب المنصور (ابن الخطيب أعمال الأعلام، ق2، ص 229) إلاّ أنّه في كتاب الإحاطة ذكر أنهم دخلوا إليها في عهد ابنه الحاجب المظفر (ابن الخطيب، 1956، ص 513)، وتؤيد مريم قاسم الطويل رواية ابن بلكين وابن خلدون بأنّ اغلب الظن أنّ زاوي دخل للأندلس في عهد الحاجب المنصور يوم كان ابنه عبد الملك ينوب عنه في الحجابة عند غياب أبيه عن قرطبة بهدف الغزو (مريم قاسم الطويل، 1994، ص ص 88 – 89)، كما يؤيد أيضا عبد الله عنان الرأي الأول، وذلك لأنّ ابن بلكين حفيد ماكسن شقيق زاوي وهو الأدرى بتاريخ أسرته، وثانيا لأن ابن خلدون حجة في تاريخ البربر (محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 122)، ويضيف عنان أنّ المنصور قد اتخذ بنو زيري الصنهاجيون سندا له واستطاع أن ينظمهم مع أعدائهم زناتة وسائر بطون البربر الأخرى في جيشه، وقد قويت شوكتهم في أواخر عهد المنصور، ثم في أيام ولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول ورجحت كفتهم في الجيش وكانوا عضدا لدولته، وقد كان سماح المنصور لهم بالجواز للأندلس وهم ألد أعداء الدولة المروانية، والدولة العامرية خيارا صائبا (عبد الله عنان، 1997، ص 122)، إلاّ أنّ هناك سؤالا يطرح نفسه بإلحاح هو: هل كان عبور زاوي بن زيري إلى الأندلس فعلا بسبب بطش باديس بن المنصور؟ (هو باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو مند نصير الدولة ثالث ملوك الدولة الزيرية الصنهاجية في افريقية، استمر ملكه 47 سن من 406- 453هـ/1015- 1061م، عادل نويهض، الطبعة الثانية، لبنان 1980، ص29) أم أنّ هناك سببا آخرا ؟خصوصا أنه كان يعلم من قبل بأن أعدائه من قبيلة زناتة الذين قتلوا أباه زيري بن مناد كانوا قد سبقوه إلى أرض الأندلس، ووطدوا علاقاتهم بحكامها، ويضيف إسماعيل العربي عدة تساؤلات هي: هل كان هدف زاوي بن زيري الاستشهاد؟، أم الثأر لمقتل أبيه الذي علق رأسه من طرف الأمويين بجدار قرطبة؟ أم أنّ هدفه هو مجرد محاولة لاقتطاع إمارة له بعد أن عجز عن ذلك في إفريقية (إسماعيل العربي، بني، 1982، ص 22)،

إن قراءة متأنية لشخصية زاوي بن زيري حول تحركاته ومواقفه بالأندلس تعطينا انطباعا قويا بأنّ زاوي بن زيري كان يبحث عن عبقريته السياسية، وهو الذي قبل قدومه للأندلس كان قد نازع باديس بن منصور حول الإمارة، ولكنه فشل، وما يؤكد رغبته القوية في تحقيق طموحه في الملك، أنّ الحاجب المظفر بعد استقرار زاوي بالأندلس حاول رفع منزلته فعرض عليه أن يتولى خطة الوزارة وهي أرفع الخطط بالأندلس، لكنه رفض وصرّح قائلا للرسول الذي أرسله المظفر إليه "... وإنّما خطتنا الإمارة لا الوزارة..." (ابن بسام، 1997، مج1، ق4، ص ص 81 – 82).

3- موقف بنو زيري من الفتنة التي اندلعت بقرطبة سنة 399هـ/ 1008م:

قبل التطرق إلى موقف زاوي بن زيري وقومه من الفتنة التي حدثت ببلاد الأندلس بعد سنوات من دخولهم إليها، لابد أولا من الإشارة إلى مسألة مهمة، فالمتتبع لأحداث الفتنة (399هـ- 422هـ/1008- 1031م) والتي أدت في آخر المطاف إلى سقوط الخلافة الأموية في 422هـ/ 1031م، وظهور دول الطوائف يكتشف أنه من الظلم أن تذهب أغلبية المصادر التاريخية إلى تسميتها بالفتنة البربرية بدلا من القرطبية أو الأندلسية، وتحمّل البربر بذلك مسؤولية إشعالها (محمد حقي، 2001، ص277)، فعبد الرحمن شنجول يعد سببا رئيسيا في هذه الفتنة، فهو الذي أرغم هشام المؤيد أن يجعله ولي عهده، وليس هذا فحسب، بل إنّ الجرأة والتهور بلغ به أن تسّمى بالألقاب الخلافية مثل: الناصر والمأمون، ولعل أول مرة رجل من خارج السلالة القرشية يطمح في الخلافة، إذ أثارت هذه الحادثة غضب الأندلسيين

(ابن الخطيب، 1956، ق2، ص، 90 – 92)، وكانت هذه التصرفات الحمقاء كفيلة بإشعال نار الفتنة التي أتت على الأخضر واليابس، فإدعاء العهد كان سببا رئيسيا في إشعال نار الفتنة (ابن عذارى، 1929، ج3، ص 42)، ويعتبر أيضا محمد بن هشام بن عبد الجبار رأس الفتنة وسببا من أسبابها الرئيسية، إذ أنّ ابن الآبار يحمّله بصريح العبارة إثارة الفتنة فيقول " محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر باعث الفتنة بالأندلس، وهو موقد نارها الخامدة، وشاهر سيفها المغمد" (ابن الآبار، 1985، ج2، ص 05) ويؤيد هذا الرأي أيضا ابن عذارى (ابن عذارى، 1929، ج3، ص76) والمقري (المقري، 1967، ، ج1، ص 577).

و عندما استحوذ المهدي على الخلافة سنة 399هـ/ 1008م، كان بنو زيري من الأوائل الذين أيّدوه أيضا يظهر لنا ذلك من خلال ما أقدم عليه "حباسة بن ماكسن بن زيري" عندما قام مع من كان معه من صنهاجة إلى جانب غيرهم من رؤساء القبائل المغربية، بالانسحاب من جيش عبد الرحمن شنجول عندما كان راجعا لقرطبة بعدما وصله بأنّ المهدي قد دخل لقصرها، ولحقوا بالخليفة الجديد هناك، وقد أعلن زاوي بن زيري عن تأييده للمهدي إلى جانب ابني أخيه "حباسة وحبوس" وغيرهم من البربر، إلاّ أنّ تأييدهم للمهدي لم يلق ترحيبا يليق بهم كونهم كانوا من قبل أداة تغلب بها المنصور محمد بن أبي عامر على المروانيين (ابن خلدون، 2000، ج4، ص 180)، حيث ما كاد يتولى المهدي شؤون الخلافة حتى بدأت مأساة البربر على يد جنودها الذين كان أغلبهم من سفلة القوم والغوغاء (خالد الصوفي، 1963، ص 165).، فقد كان من جملة أخطاء المهدي إظهاره البغض علنا للبربر وعدم تكتمه وذمه لهم في مجالسه علنا أمام الناس، مما أعطى الضوء الأخضر للعامة في قرطبة، فاندفعوا ينهبون دور البربر، وكان من الدور التي نهبوها والتي لم تسلم نذكر دور ا لابني ماكسن، ودورا لزاوي بن زيري، ودورا كثيرة للبربر بالرصافة (ابن عذارى، 1929 ج3، ص76)، مما دفع زاوي بن زيري إلى طلب مقابلة المهدي الذي منعه من دخول القصر، والأكثر من ذلك ضرب الجنود فرسه حتى أنّه غضب، وقال "هذه الرأس فاضربوا، فالدابة لا ذنب لها"، ويبدو أن هذه الحادثة قد تركت أثرا كبيرا في نفس زاوي بن زيري وامتلأ قلبه حقدا على المهدي بسبب الإهانة، غير أن ابن خلدون يذكر أن زاوي بن زيري وابن أخيه حباسة ومعهم أبو الفتوح بن الناصر استطاعوا الدخول على المهدي بعد أن سمح لهم بذلك وشكوا إليه ما حدث لهم، فاعتذر إليهم ووعدهم باسترجاع ما نهب منهم (ابن خلدون، 2000، ج4، ص193)، وليثبت صدق نيته أمر بإعدام المعتدين (ابن عذارى، 1929، ج3، ص 76)، وكان ذلك نفاقا منه فقد بلغ البربر أنّ المهدي سّره الفتك بهم، فاتفقوا على بيعة هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الذي قتله المهدي كما ذكرت آنفا سنة 399هـ/ 1009م (الحميدي، 2005، ص38)، وقد أدّت هذه الحادثة إلى لجوء زاوي بن زيري وقومه وغيرهم من البربر إلى طليطلة برفقة سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وقاموا بمبايعته، ولقب بالمستعين عام 399هـ/ 1008م، وذكر ابن الخطيب أيضا أنّ زاوي بن زيري، كان له دور كبير في هذه المبايعة إذ أنّه استطاع إقناع البربر بمبايعة سليمان بن الحكم إذ قال لهم" بايعوا لهذا القرشي سليمان، يرفع عنكم الأنفة في الرياسات". (ابن الخطيب، 1956، ج4، ص515).

وبعد هزيمة المهدي أمام قوات المستعين في معركة قنتيش400هـ/ 1009م، (هي معركة دارت ضمن أحداث فتنة الأندلس في جبل منطقة قنتش شرق قرطبة بالأندلس، بين قوات الخليفة المهدي بالله وأهل قرطبة من حلفائهم من قشتالة بقيادة سانشو غارسيا كونت قشتالة وانتهت بانتصار قوات سليمان بن الحكم واعتلائه عرش الخلافة في 15 ربيع الأول 400هـ/1009م، عبد الله عنان، 1997، ص646)، وكان زاوي بن زيري من الأوائل الذين دخلوا إلى قصر قرطبة يوم الاثنين 13 ربيع الأول 400هـ- 1009م، وكان مع الذين بايعوا المستعين بقرطبة (ابن بسام، الذخيرة، مج1، ق1، ص ص44- 45،)، وفي معركة عقبة البقر 15 شعبان 400هـ/ 1009م (هي معركة في منطقة عبقة البقر بالقرب من قرطبة، دارت بين قوات الخليفة سليمان المستعين بالله، وقوات الخليفة المهدي بالله، عبد الواحد ذنون طه

وآخرون، ط1، 2000، ص218) كان زاوي بن زيري في مقدمة الجيش وأبلى بلاءً حسنا وقاتل باستماتة إلاّ أنّ قوات المهدي استطاعت هزيمتهم، وعندما تيقن البربر بما فيهم بنو زيري من خسارتهم توجهوا إلى مدينة الزهراء (تقع غرب مدينة قرطبة، بناها عبد الرحمن الناصر، المقري، 1967، ص 563)، وأخذوا أهلهم وأموالهم وغادروها واستغل أهل قرطبة ذلك ونهبوا وقتلوا من وجدوه بها (ابن عذارى البيان المغرب، ج3 ص 94)، والملاحظ من خلال ما أقدم عليه القرطبيين أنّه كلما وجدوا فرصة لإيذاء البربر إلا واستغلوها (عبد القادر بوباية، 2011، ص33)، وبعد ذلك وفي معركة "وادي آرة" في ذي القعدة 400هـ/1009م التي هزم فيها المهدي أمام قوات سليمان المستعين كان أيضا بنو زيري وزعيمهم زاوي في مقدمة الجيش وشاركوا إلى جانب البربر في تحقيق الانتصار، وفرض حصار طويل على قرطبة تم التخلص في أثنائه من المهدي سنة 400هـ من طرف الأندلسيين (ابن عذارى، البيان المغرب، ج3 ص 96- 100)، وقد دام هذا الحصار لأكثر من سنتين ومن أخطر الأحداث التي جرت فيه هو مقتل "حباسة بن ماكسن "في شوال 402هـ/1011م من طرف أهل قرطبة الذين نكلوا بجثته، فجزع عليه أهله خاصة أخوه "حبوس "و عمه زاوي وأرادوا الثأر له فوقعت بينهم وبين أهل قرطبة معركة عنيفة هزموهم فيها شر هزيمة (ابن الخطيب، 1956، ج1، ص ص 486 – 487).

و بعد مرور سنة على هذه الواقعة استطاع سليمان المستعين الدخول لقرطبة وذلك بفضل جهود زاوي بن زيري وقومه ومن كان معهم من البربر بعد هزيمتهم للقرطبيين في معركة شرسة في شوال 403هـ/ 1012م (ابن عذارى، 1929، ج3، ص113)، وعندما استقر الأمر لسليمان المستعين مرة أخرى في الخلافة سنة 403هـ/ 1012م، أحاط نفسه بالحجاب والوزراء من البربر، وبعد أن أدرك خطورة وجودهم إلى جانب الأندلسيين عمل على تفرقتهم في الكور والثغور إرضاء لهم من جهة وتفريقا لشملهم وإبعادا لهم عن قرطبة من جهة أخرى، فأقطعهم أحسن الأقاليم وكان نصيب قبيلة صنهاجة وزعمائها بنو زيري كورة ألبيرة (السيد عبد العزيز سالم، 1971، ج1، ص85).

4- تأسيس زاوي بن زيري لمملكة غرناطة بعد رحيله من "إلبيرة" وأهم الأحداث في عهده (403هـ- 410هـ/ 1012م – 1019م):

- استقرار زاوي بن زيري وقومه بإلبيرة سنة 403هـ/ 1012م:

يذكر ابن عذارى بأن زاوي بن زيري كان من بين الزعماء البربر الستة الذين أقطعهم سليمان المستعين مدنا أندلسية، وكانت "إلبيرة "من نصيبه (تقع ألبيرة الى الجنوب الشرقي من قرطبة، كان لها دور في دعم عبد الرحمن الداخل وظهور الإمارة الأموية بالأندلس، ياقوت الحموي، مج3، 1977، ص213)، إلاّ أنّ ابن بلكين ذكر لنا رواية أخرى وهي أنّ استقرار بنو زيري بإلبيرة كان بناء على طلب أهلها منهم مقابل حمايتهم وحماية مدينتهم، لأنّ أهل "إلبيرة" كانوا على قدر كبير من الجبن لا يستطيعون الدفاع عن مدينتهم (Bilal j.j. sarr marroco,2009 ,p123) فعندما خافوا على أرضهم التي تتميز بالاتساع والخصب والنّماء من جراء ما يحدث بالأندلس من فتن واقتتال بسبب الصراع حول الحكم، لجأوا إلى زاوي بن زيري ودعوه مع قومه صنهاجة للإقامة بأرضهم ومشاركتهم في خيراتها ونعمها مقابل الدفاع عنهم حيث قال: " فلما بصروا (أي أهل إلبيرة) باختلاف سلاطين الأندلس وأنها أضرمت نارا وتوقعوا أنّ يتخطفهم الناس، وتوجّهوا إلى زاوي شاكين مما هم فيه ويقولون: ... لكم منّا الأموال والسكنى ولنا منكم الحماية والذّب عنا...". (ابن بلكين، 2006، ص ص 33- 34).

- أسباب تأسيس زاوي بن زيري لغرناطة سنة 403هـ/ 1012م واتخاذها دارا لملكه بدلا من "البيرة":

بعد استقرار بنو زيري في إلبيرة، رأى زعيمهم زاوي بن زيري أنها سهلة المنال ولا تصلح بأن تكون دارا لملكه وذلك لعدم حصانتها ولا يمكنها أن تقاوم العدوان لوجودها في مكان منبسط، ومحاطة بالأعداء من كل الجهات،

خاصة إذا علمنا بأنّ الأندلسيين كانت لهم كراهية لجنس البربر لأنهم يعتبرونهم السبب في حالة التمزق والشتات التي آلت إليها بلادهم (ابن بلكين، 2006، ص 35)، عندئذ رأى زاوي بن زيري أنّه من الصواب أن يرتحلوا من" ألبيرة"، فأشار على أهلها بضرورة ذلك، وأن يختاروا بالقرب منها معقلا حصينا، يرحلون إليه بذويهم وأموالهم ويبنون فيه ديارهم ويجعله قاعدة لملكه،

و قد وقعت أعينهم على سهل واسع جمع الأنهار والأشجار وجميع ما يليه من البلد، ويعرف هذا السهل بسهل "وادي شنيل وشمال نهر الثلج المسمى نهر الشنيل (هو واد يشق مدينة غرناطة، يسمى كذلك بوادي الثلج، ياقوت الحموي، مج3، 1977، ص119)، ويحجب هذا السهل "جبل شلير"، (هو قريب إلى أحياء مدينة القصر الحمراء في الجهة الشمالية الغربية عبد الله عنان، ، 1961 ص190)، فبنوا في هذا الموقع الذي يحجبه الجبل مدينة محصنة لا يطيق العدو حصارها، فظهرت إلى الوجود غرناطة وقد وصف لنا ابن الخطيب موقع غرناطة الجميل والمنيع قائلا: "حجبت الجنوب عنها الجبال... وانفسخت للشمال، واستوفت الشروط على الكمال، وانحدر منها فجاج الجليد على الرمال، وانبسط بين يديها المرج، الذي نضرة النعيم لا تفارقه..." (ابن الخطيب، 1980، ص 20). وأخذت هذه المدينة التي شرع زاوي بنو زيري في تأسيسها في سنة 403هـ/1012م، منذ ذلك الوقت تكبر وتنمو على حساب مدينة "إلبيرة "نفسها، إذ كان تأسيس غرناطة نذيرا بخراب "إلبيرة "هذا ولم يكتمل بناءها إلاّ بعد أن غادرها زاوي سنة 410هـ/ 1019، إذ حصّن خليفته حبوس بن ماكسن أسوارها، وبنى قصبتها، وكملت في عهد ابنه باديس وأصبحت مدينة مستديرة. (العمري، ط1، 2010، ج4، ص549).

ومما لا شك فيه أنّ أكبر عدد من الساكنة قد انتقل إليها منذ عهد زاوي بن زيري، ثم تتابع تدفقهم إليها خلال فترة حبوس بن ماكسن، فاتسعت وعمرت نواحيها بالمباني وتكون خارجها إحدى عشرة ربضا ومنها، ربض البيازين، وربض الفخارين، وربض الرملة، وحي غرناطة، والحي المعروف بغرناطة اليهود، وربض النّجد (مريم قاسم الطويل، 1994، ص 24 – 26.).

أهم الأحداث في عهد زاوي بن زيري (403هـ- 410هـ/ 1012م – 1019م):

- مشاركة زاوي بن زيري في خلع الخليفة سليمان المستعين وتعيين علي بن حمود بدلا منه في سنة 407هـ/1016م:

لقد كان علي بن حمود وأخوه إدريس بن حمود من حلفاء زاوي بن زيري، فعلي بن حمود كان من الذين عبروا للأندلس في فترة سيطرة العامريين على السلطة، وكان من بين الزعماء الذين ساعدوا سليمان المستعين على الوصول للخلافة ومكافأة له على ذلك منحه المستعين ولاية سبتة، إلّا أنّ علي بن حمود وكما أسلفت الذكر كان طموحه أكبر بكثير إذ إن كان هدفه تولي عرش الخلافة بقرطبة، وحتى يصل إلى مبتغاه تواطأ مع خيران العامر صاحب ألمرية (ابن عذارى، 1929، ج 3، ص 113 – 115). فالتقيا في المنّكب في أواخر سنة 406هـ/ 1015م وجمع قوتهما وعند وصولهما إلى غرناطة انضم إليهما زاوي بن زيري وابن أخيه حبوس بن ماكسن وإخوته وبني عمه الصنهاجيين، فعلم سليمان المستعين بزحفهم لقتاله، فخرج للقائهم مع جند البربر، فالتقوا على بعد عشرة فراسخ من قرطبة واقتتلوا، فانهزم المستعين والبربر، وقتل منهم جمع غفير، واستطاع علي بن حمود أسر سليمان المستعين وبعد ذلك قتله واستولى على الخلافة سنة 407هـ/ 1016م بفضل مساعدة زاوي بن زيري والصقالبة له. (ابن عذارى، 1929، ج 3، ص 116 – 120.)

- انتصار زاوي بن زيري في معركته مع الخليفة المرتضى سنة 409هـ/ 1018م:

في سنة 409هـ/ 1018م واجه زاوي بن زيري هجوما على مملكته من جيش الخليفة الأموي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى، وقبل التطرق إلى ما حدث في هذه المواجهة بين جيش

المرتضى وجيش زاوي بن زيري وأبرز نتائجها، لابد من الإشارة إلى ما حدث قبل هذه المواجهة من أحداث فقد سبق، وأن ذكرت بأنّ علي بن حمود بعد أن استولى على عرش الخلافة بقرطبة في المحرم 407هـ/ 1016م، سرعان ما انقلب عليه الصقالبة الذين دعّموه على الوصول للعرش وعلى رأسهم خيران العامري، الذي أعلن العصيان عليه وفر هاربا للشرق أين يوجد معظم الزعماء العامريين وأنصارهم، وهناك استدعى المرتضى وقد كان هو الأخر منذ سيطرة علي بن حمود على الخلافة قد فرّ من قرطبة إلى جيان (تعتبر من مدن وسط الأندلس الكبرى، جنوب نهر الوادي الكبير، ياقوت الحموي، مج، 2 1977 ص 105) وقد بايعه "خيران العامري" (نشأ في كنف العامريين، وتدرج في المناصب في قصورهم، حتى غدا من كبار الفتيان العامريين في زمن الحاجب المظفر، ولما حلت النكبة بالعامريين سنة 399هـ/1008م، بعد مقتل عبد الرحمن شنجول، فر إلى شاطبة، ثم عاد إلى قرطبة، في ولاية محمد المهدي الثانية، عبد الله عنان، ج1 ص649)ومن الذين انضموا إليهم وأيّدهم في ذلك المنذر بن يحي التيجيبي صاحب سرقسطة، (يعتبر المنذر بن يحي التجيبي من قادة الدولة العامرية، تولى حكم سرقسطة، والثغر الأعلى في عهد هشام المؤيد، ابن عذارى، 1929، ج3 ص 176)، وأيضا ولاة شاطبة (تقع شرق الأندلس، وشرق قرطبة، وهي مدينة قديمة وكبيرة، ويعمل بها الورق الجيد، ويحمل إلى سائر بلاد الأندلس، ياقوت الحموي مج5، 1977، ص214)، وبلنسية (تقع في شرق الأندلس، وقد حفت بالأنهار والجنان، وهي على القرب من بحر الزقاق، ومن مشاهير منازلها الرصافة ياقوت الحموي، مج 2، 1977، ص 279) وغيرهم من ولايات شرق الأندلس (ابن الخطيب، 1956 ق2، ص 130)، وكانت بيعته في 408هـ/ 1018م، وقد اتفقوا على أن يتوجهوا في قوات كبيرة صوب قرطبة لينصّبوه خليفة عليها بدلا من القاسم بن حمود الذي خلف أخاه علي بن حمود على كرسي الخلافة بعد مقتله سنة 408هـ/ 1017م من طرف الصقالبة.

وذكر ابن بسام نقلا عن ابن حيان أنّ منذر التجيبي وخيران العامري أقنعا المرتضى على أن يغيّر طريقه إلى غرناطة للقضاء على زاوي بن زيري الحليف القوي لعلي بن حمود ثم التوجه لقرطبة، ويضيف ابن بسام أنهما كانا يهدفان من وراء ذلك للتخلص من المرتضى، والسبب في ذلك أن منذر التجيبي وخيران العامري ومن كان معهم من الولاة أرسلوا كتابا للمرتضى على أن يلتقوا به في شاطبة للتجمع فيها ومنها ينطلقون بقواتهم إلى قرطبة، وفي طريقهم إلى شاطبة اصطحبوا برفقة جيوشهم جمعا من المرتزقة الإفرنج، لكن في طريقهم مروا ببلنسية قبل وصولهم لشاطبة (كلمة تطلق في الأندلس على الأسرى والخصيان من الأجناس الصقلبية، كان لهم دور بارز في السياسة يتناسب وازدياد عددهم حتى كونوا طبقة اجتماعية، تشبه الى حد ما طبقة المماليك في المشرق الأتراك في المشرق الإسلامي، عبد الله عنان، 1997 ص112)، إلاّ أنّ ما حدث هو أنّ مبارك العامري صاحبها منعهم من الدخول، فلما التقى خيران العامري ومنذر التجيبي بالمرتضى وأخبراه بما فعل مبارك وحثّاه على اصطحابه معهم للغزو ولكنه لم يجبهما لذلك، بحجة أنّ مبارك سيبقى ببلنسية لجمع الأموال وإرسالها لهم، فحقدا عليه وقررا التخلص منه فنصحاه بضرورة التوجه لغرناطة للتخلص من زاوي بن زيري المناهض له (ابن بسام، 1997، مج1، ق1، ص 453).

و يشير ابن الأثير إلى أنّ خيران العامري ومنذر التجيبي قد أجمعا على الغدر بالمرتضى لإظهاره الجفاء لهما بعد مبايعته وإقباله على أهل بلنسية وشاطبة دون أن يقبل عليهما (ابن الأثير، 1982، ج7، ص 292)، كما ذكر أيضا سببا آخرا وهو أنّ القاسم بن حمود عندما تولى الخلافة بعد مقتل أخيه علي بن حمود استطاع أن يستميل الفتيان العامريين فكاتب العامريين فأقطع زهير العامري جيان وقلعة رباح وبياسة، وكاتب خيران واستعطفه فلجأ إليه واجتمع به، ويبدو أنّ القاسم بن حمود استطاع بفضل حسن تصرفه وذكائه أن يغير موقف خيران والحزب العامري من دعمهم للحزب المرواني خاصة بعد الجفاء الذي أظهره لهم المرتضى (عبد العزيز سالم، 1971، ج1، ص 95).

و يذكر عبد الواحد المراكشي أنّ العبيد الذين بايعوا المرتضى وزحفوا به إلى غرناطة ندموا على مبايعته لما رأوه من صرامته وخافوا من عواقب ذلك، فقرروا الغدر به والتخلي عنه في معركته مع زاوي بن زيري (عبد الواحد المراكشي، 1949، ص 50)، وقد أورد لنا المقري التلمساني نصا في غاية الأهمية ذكر فيها أنّ خيران العامري كاتب زاوي بن زيري وتآمر معه على كيفية الإطاحة والغدر بالمرتضى حيث قال المقري: "...فكتب خيران إلى ابن زيري الصنهاجي المتغلب على غرناطة،... وضمن له أنّه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه إلى قرطبة خذل عن نصرته الموالي العامريين،...، فأصغى ابن زيري إلى ذلك" (المقري، 1962، ج1، ص 485)وهكذا استطاع خيران تأجيج الطرفين وجرّهما للمواجهة وهو يعرف مسبقا أنّ نهاية المرتضى باتت قريبة لا محالة، وعندما وصل المرتضى إلى مشارف غرناطة أرسل إلى زاوي بن زيري يدعوه إلى طاعته فلما وصله الكتاب وقرئ عليه قال لكاتبه أكتب على ظهر رقعته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ" (الكافرون: 01 و02). فلما بلغت هذه الرقعة المرتضى رد عليه بكتاب تهديدي يعده فيه بوعيده وعندما قرئ على زاوي رد عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" (سورة التكاثر، الآيات من 01 إلى 08)، فاستشاط المرتضى غيضا. وظن أنه سيهزم زاوي بن زيري، بحكم عدد جيشه الكبير الذي قارب أربعة آلاف فارس، بينما لم يتعدى عسكر زاوي الألف (ابن بلكين، 2006، ص37)و اقتتلت قوات زاوي والمرتضى اقتتالا شديدا، ودامت الحرب أياما وعندما طالت الحرب على زاوي بن زيري أرسل إلى خيران يطالبه بتنفيذ وعده، فاستجاب له، وفي اليوم الموالي انسحبت قوات خيران ومنذر معا (المقري، 1962، ج1، ص 485)، وبسبب ذلك هزم جند المرتضى، وفرّوا من أرض المعركة مسلموهم وإفرنجهم يطلبون النجاة وخيل بني زيري تطاردهم، ويقتلون منهم ويأسرون، أما عن المرتضى اضطر للفرار، إلاّ أنّ خيران العامري أرسل إليه من تبعه وقتله غدرا بالقرب من" وادي آش " (ابن عذارى، 1929، ج3، ص 127)، واستطاع زاوي بن زيري بعد انتصاره أن يستحوذ على سرادق المرتضى بكل ما فيه من الزينة والحلي مما كانوا الأمراء قد جمعوا له وجمّلوه به، معتقدين غرورا أنّ النصر حليفهم لا محالة وعندئذ سيدخلون قرطبة للاحتفال باستعراض ما كانوا قد أعدّوه من بهرجة للتباهي بالنصر، لكنّ الهزيمة حالت دون ذلك، وقد كتب زاوي بن زيري إلى القاسم بن حمود يبشره بالنّصر ويشرح له تفاصيل المعركة، ويعرض عليه نصيبه من الغنيمة ومنها سرادق المرتضى، وبالمقابل رأى القاسم بن حمود أن يعطي هذا النّصر حقه من الإعلان والدعاية، فضرب هذا السرادق على نهر قرطبة ودعي إليه الأعيان وعليّه القوم من الأندلسيين، وشاهدوه بأمهات أعينهم وقلوبهم تتقطع حسرة (المقري، 1962، ج1، ص486).

5- عودة زاوي بن زيري إلى إفريقية سنة 410هـ/ 1019م ووفاته بها.

1. أسباب عودته:

بالرغم من الانتصار الذي حققه زاوي بن زيري على الأندلسيين، إلا أنّه بعد ذلك فضل العودة إلى موطنه، حيث أنّه نظر بعين العقل إلى تلك التحولات التي تشهدها الأندلس والأحداث المتسارعة، فهو وقومه البربر لا محالة مستهدفون من قبل الأندلسيين (عمر بوخاري، 2014- 2015، ص 220)، ذلك أنّه لا ينبغي أن يغتر الصنهاجيون الذين كانوا قليلي العدد بالأندلس بهزيمتهم للمرتضى، إذ أنّ انتصارهم عليه يرجع إلى خيانة ملوك الطوائف الأندلسيين للمرتضى أكثر مما يرجع إلى قوة الصنهاجيين، ومن جهة أخرى كان يخشى زاوي من أن يغدر بهم أعدائهم بربر زناتة، ويخشى بالأخص أن يتحالفوا ضدهم مع الأندلسيين، فلم يبق لهم حينئذ سوى مخرج واحد للنجاة بأنفسهم وهو الرجوع إلى إفريقية والالتحاق ببني جنسهم (هادي روجي إدريس، ، ط1، 1992، ج1، ص173).

حاول زاوي بن زيري قبل رجوعه لإفريقية جاهدا إقناع قومه وأبنائه بالرجوع وهو يحذّرهم من انتقام الأندلسيين وتواطؤ زناتة معهم في هذا الانتقام حيث خاطبهم قائلا: " قد علمت وأيقنت أنّ هذا يكون دأبهم أبدا، وإن كنا قد منحنا الظفر في أول صفقة لم نأمنهم على أنفسنا وديارنا كل حين، وهم إن قتل منهم واحد خلفه ألف، مع ميل جنسّيهم من الرعايا إليهم...."، (ابن بلكين، 2006، ص38)، وقد ظنّ زاوي أنه سيستميل قومه بهذه الخطبة إلاّ أنّ الصنهاجيين الذين كانوا يفضلون المرتبة الأولى بغرناطة على المرتبة الثانية في القيروان لم يستجيبوا لنداء شيخهم، وليس فقط قومه من امتنع عن الرحيل معه بل حتى أولاده عارضوه، واعتبروا ذلك سذاجة وسخافة في الرأي، حيث نقل لنا عبد الله ابن بلكين ما قاله بلكين بن زاوي لأبيه عند ما قرر الرحيل " فأعاب هذا الرأي على أبيه وقال له: بنيت لغيرك فتكون له بمنزلة الخادم أو الأجير!، لا تترك حاضرا لغائب وأثبت بمكانك الذي لم تحصل عليه إلاّ بعد مشقة وإشراف من نفسك على الهلاك" (ابن بلكين، 2006، ص 39)، فرد عليه زاوي قائلا " نستخلف على المدينة (أي غرناطة) من شيوخ تلكاتة الموثوق بهم في المهمات من يثقفها وينوب منابي فيها، حتى أباشر بنفسي حال القيروان وكيفية دولتنا، فإما أن يتهيأ غرضنا، وإلاّ انصرفنا إلى مركزنا" (ابن بلكين، التبيان عن الحادثة، ص 39)، ومن خلال هذا النص يتبين لنا سبب آخر لعودة زاوي للقيروان، إذ كان وراء عودته هدف أساسي يتمثل في طمعه في الاستيلاء على عرش القيروان بعد وفاة باديس بن منصور ليلة الأربعاء انقضاء ذي القعدة 406هـ/ 1015مومبايعة ولده المعز يوم الاثنين الثالث من ذي الحجة سنة 406 هـ/ 1015م (ابن خلكان، 1989، ج1، ص 266). وعمره لا يتعدى الثمانية أعوام، لذلك أصر على الرجوع مع جموع من البربر إليها ليساعدوه في الاستيلاء على العرش بعد أن تبين له استحالة الوصول للخلافة بالأندلس (عمر بوخاري، 2014- 2015، ص220).

و قد ذكر ابن خلدون أنّ زاوي قبل رجوعه استخلف مكانه ابنه" ونّا "لكنه أساء معاملة أهل غرناطة فبعثوا إلى حبوس بن ماكسن لتولي أمر غرناطة قبل فوات الأوان، فبادر إليهم ونزل بها، وبايعوه وصار ملكها (ابن خلدون، 2000، ج6، ص239)، وقيل أنّ على إثر ارتحال زاوي سعى الفقيه بن أبي زمنين قاضي غرناطة في أن يعيّن حبوس بن ماكسن، فلحق به في حصن اشتر على مقربة من وادي آش أين كان يتواجد هناك حبوس مترقبا رحيل عمه فأقنعه ابن أبي زمنين أن يتولى هو حكم غرناطة، وبالفعل رجع إليها ودخلها في موكبه وطبوله ودخل إلى قصبتها وسيطر على الحكم وأورثه عقبه، وبسبب سيطرة حبوس على الحكم جرى بينه وبين ابن عمه جلال بن زاوي نزاع إلاّ أنّ هذا الأخير فيما بعد فضل اللّحاق بوالده إلى إفريقية، وبهذا استقر الأمر لحبوس (ابن بسام، 1997، مج1، ق1، ص ص 459 – 460).

وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي عاد فيها زاوي بن زيري لإفريقية، إلاّ أنّ جلهم ذكر أنّ رجوعه لموطنه كان في سنة 410هـ/ 1019 م مثل ابن خلدون وابن بسام وأبو الفدا وابن عذارى وابن الوردي، وقد أشار ابن بسام إلى ما نقله زاوي من كنوز غنمها في أيام الفتنة حيث قال: "... فرحل عن الأندلس سنة عشر وأربعمائة واستقلت سفنه من مرسى المنّكب، وفي شحنتها من ذخائر الأندلس ما يفوت الإحصاء كثيرة لعظم ما خمسه أيام الفتنة..." (ابن بسام، 1997، مج1، ق1، ص458)، ويبدو بأنّ زاوي بن زيري لم يغفل عن الغنيمة الثمينة التي سلمها له علي بن حمود في سنة 406هـ/ 1015م، والتي تتمثل في رأس سليمان المستعين بالله إذ كان زاوي حريصا على نقل رأسه معه لأخذ ثأر أبيه الذي كان رأسه أهدي من قبل إلى بني مروان بالأندلس (ابن عذارى، 1929، ج3، ص ص 116 – 117)، وقد أشار ابن عذارى إلى مدى الترحاب والإجلال الذي حظي به زاوي عند وصوله للقيروان من قبل المعز بن باديس. قائلا: " وفي عشرة وأربع مئة وصل زاوي بن زيري من الأندلس إلى إفريقية، فخرج إليه يوم وصوله شرف الدولة المعز بن باديس بزي عظيم فترجل له الشيخ زاوي، ونزل شرف الدولة، فسّلم عليه، وسار معه حتى أنزله بالمنصورية" (ابن عذارى، 1929، ج1، ص269).

أما بالنسبة لتاريخ وفاته فمن الصعب تحديده، لكن ابن بلكين في مذكراته ذكر أنّ حاشية المعز بن باديس قاموا بتسميمه مخافة من استيلائه على الحكم (إبن بلكين، 2006، ص40)و قد ذكر ابن بسام نقلا عن ابن حيان أنّه مات بالطاعون ووفاته كانت بالقيروان (ابن بسام، 1997، مج2، ق1، ص588).

مناقشة النتائج:

وختاما فإن هذا دراسة هذا الموضوع الهام سيسد فجوة لا تزال قائمة في تاريخ الوجود الزيري في الأندلس، هذا وتشير نتائج الدراسة إلى النتائج التالية:

- أنّ بنو زيري خلال فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين كان لهم دور وتأثير كبيرين في الحياة السياسية بالأندلس ولم يكونوا بمعزل عن ما جرى بها من أحداث.
- بينت الدراسة أن الأسباب والظروف التي دفعت زاوي بن زيري وقومه بالهجرة للأندلس وترك موطنهم بأنّه لا يمكن حصرها فقط في استبداد باديس بن منصور الزيري بالحكم في افريقية، أو إلى خطر زناتة، بل يتمثل في رغبة زاوي بن زيري في تأسيس كيان سياسي خاص به بعد أن عجز عن ذلك في موطنه إفريقية، هذا وقد اضطر بنو زيري أنّ بني زيري أن يكونوا طرفا في الصراع والفتنة القرطبية التي اندلعت سنة 399هـ/ 1009موالتي أدت في آخر المطاف إلى ظهور دول الطوائف بعد انقسام الأندلس وإلغاء الخلافة الأموية سنة 422هـ/ 1031م.
- أوضحت الدراسة كذلك أن زاوي بن زيري تميّز بدهائه وعبقريته السياسية والعسكرية، فقد ترك إلبيرة التي منحه إياها سليمان المستعين بعدما وصل للخلافة سنة 403هـ/ 1013م، لقاء مساعدته له، والرحيل لغرناطة المتميزة بموقعها المنيع الذي يحميه من أعدائه الأندلسيين، وهي المنطقة التي أسس فيها مملكته سنة 403هـ/ 1013م، وبهذا تكون هذه المملكة من أوائل ممالك الطوائف التي ظهرت قبل إلغاء الخلافة الأموية سنة 422هـ/ 1031م.
- أثبتت الدراسة أيضا أن من أبرز ما ميّز فترة حكم زاوي بن زيري (403هـ- 410هـ/ 1012م – 1019م) هو ذلك التحول من ولائه لسليمان المستعين إلى ولائه وتحالفه مع علي بن حمود ومساعدته على الوصول لعرش الخلافة سنة 407هـ/1016م وعزل المستعين، ، مما يطرح تساؤلات عديدة، فربما أن المصلحة السياسية دفعته لذلك فمال لعلي بن حمود باعتباره الطرف الأقوى خصوصا بعد أن حظي هذا الأخير بدعم القرطبيين والصقالبة وفي حالة وصوله للخلافة يكون سندا له لحماية مملكته من خطر الأندلسيين.

التوصيات والمقترحات.

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث ويقترح بالآتي:

1. التوسع في دراسة تاريخ بني زيري وذلك من خلال تشجيع طلبة الدراسات العليا لإعداد دراسات وبحوث حولها.
2. أن تهتم مراكز البحث التاريخي بتاريخ بني زيري في المغرب والأندلس.
3. ضرورة الاستفادة من دروس التاريخ بشكل كبير يخدم أمتنا العربية في وقتنا الحاضر والمستقبلي.
4. أن يتجه بعض الباحثين في التاريخ الوسيط، لإعداد دراسات في تاريخ الزيريين، بالرجوع إلى المصادر والمراجع الأجنبية.

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً- المصادر والمراجع بالعربية:

- ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة، ط1 السنة1985.
- ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، ج9، دار صادر، بيروت، 1982.
- ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال دار المكشوف بيروت ط2 1956.
- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق عبد الله عنان مكتبة الخانجي القاهرة1973.
- ابن الكلبي هشام، نسب معد واليمن الكبير، تح ناجي حسين، مكتبة النهضة العربية، ج2 بيروت، ط1، 1998/1408.
- ابن بسام الذخيرة في محاسن الجزيرة تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت1417ه/1997م.
- ابن بلكين عبد الله الزيري، التيبان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، حرّره علي عمر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422ه/ 2006م.
- ابن حزم أبو محمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6- 7، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.
- ابن خلّكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ج5 تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1989.
- ابن دريد أبو بكر محمد، جمهرة اللغة، تح رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.
- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنسال ج3، دار الثقافة بيروت الطبعة الأولى1929.
- إسماعيل العربي، دولة بني زيري ملوك غرناطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- الحميدي أبو عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق وتعليق بشار معروف عواد ومحمد بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009.
- خالد الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا نهاية الخلافة الأموية بالأندلس، دار الشرق، حلب، ط1، 1963.
- سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي منشأة المعارف الإسكندرية مصر (د.ت).
- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية، دت.
- السمعاني عبد الكريم الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن المعلم اليماني وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط1، 1977/1397، مج8.
- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، ج2 دار المعارف بمصر، ط2، 1367ه/ 1967م،
- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1971.

- عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة، ط2 1992.
- عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري92ه/422ه/711- 1031م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011.
- عبد الواحد ذنون طه وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان2017،.
- عمر بوخاري، البربر في الأندلس في عهد الطوائف خلال القرن (5ه/11م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط (مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2014- 2015.
- العمري شهاب الدين، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4. تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010.
- محمد حقي، البربر بالأندلس، شركة التوزيع، الدار البيضاء، 2001.
- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف من قيامها إلى الفتح المرابطي، نشر مكتبة الخانجي، ط4 1997.
- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949.
- مريم قاسم الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (430ه- 483ه/ 1012م – 1090م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414ه/1994.
- المقري التلمساني احمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ج1، تح إحسان عباس، دار صادر، 1967.
- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، ط1، 2005.
- النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، ج24.دار الكتب العلمية، بيروت، دت،
- هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م، ج1، نقله للعربية حمادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد3، دار صادر بيروت، 1977.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

- Bilal j.j. sarr marroco, la Granada Ziri (1013- 1090) analisis de una taifa Andalusi, tesis doctoral, universidad de Granada, 2009.